المحاضرة رقم -٣-

البدائل النظرية

٣- الاثنوميتودولوجيا أو نظرية الحياة الاجتماعية اليومية

١-الجذور الفكرية للنظرية الاثنوميتودولوجية

يرجع تأسيس النظرية إلى أواخر الستينات من القرن الماضي ولاسيما بعد نشر الكتاب الشهير "دراسات في الاثنوميتودولوجيا" لـ"هارولد جارفنكل" وذلك عام ١٩٦٧م. كما ارتبطت النظرية بصورة خاصة بالنظرية الفينومينولوجية وهناك الكثير من العلماء الذين يرون أنها مدخلا نظريا ومنهجيا جديدا للفينومينولوجيا وأنها ما هي إلا محاولة لإعادة وتجديد وتحديث الأفكار والمسلمات التي قامت الفينومينولوجيا عامة[١].

٢-عوامل ظهور النظرية الاثنوميتودولوجيا

ظهرت مجموعة من العوامل التي أدت إلى ظهور هذه النظرية ويمكن أن نوجزها في النقاط الآتية:

- فقدان الثقة في النظريات السوسولوجية الكبرى، خاصة البنائية الوظيفية التي لم تعد بمثابة الإطار المرجعي للتفسيرات السوسولوجية بصورة مرضية من قبل مجموعة من المنظرين والمهتمين بعلم الاجتماع خاصة[٢]
- إخفاق النظريات الكبرى التي تقوم على الفلسفات المتجددة مثل الوجودية الماركسية والفينومينولوجية وغيرها من النزعات التي اتسمت بالطابع المثالي والتي سعت وعملت على تفسير الواقع الاجتماعي ونظمه ومؤسساته بصورة خيالية أو مجردة
- انتشار الأزمات الأخلاقية السياسية التي تعرضت لها المجتمعات الأوروبية والأمريكية وحتى ما يسمى بالنامية نتيجة لانتشار الحروب العسكرية والدينية والانفصالية، وعجز العلوم الاجتماعية في دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية

---

[1]Gar Finkle : studies in ethnonethodology ; englwood etippe ; printice ; Hall inc; 1967; P220

[2]P. Filner et al ; New direction in sociological ; theory ; london ; Macnillan ; 1972 ; P 140

- ظهور الاتجاه الرافض للنزعات العلمية الخالصة مثل الوضعية وتطبيقاتها ذات الطابع الإنساني في العلوم الاجتماعية والتي تركز أفكارها ومسلماتها الأساسية حول علاقة الإنسان بالمجتمع، وتفسير ما ينتج عن ذلك في ضوء أطر تطورية ومنهجية ذات طابع علمي دون الاهتمام بطريقة دراسة الظواهر الاجتماعية المتباينة شكلا ومضمونا عن الظاهرة الطبيعية.

٣-مفهوم الاثنوميتودلوجيا

يتكون مصطلح الاثنوميتودولوجيا من مقطعين: يتكون المقطع الأول من الكلمة اليونانية Ethno التي تعني: الناس، الشعب، القبيلة، السلالة، أما المقطع الثاني Methodology فيشير إلى المنهج أو الطريقة بهذا يعني دراسة المناهج الشعبية أو الطرق التي يستخدمها الناس في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية، وبالتالي يهتم بتطوير مناهج البحث، إن الاثنوميتودولوجيا لا تعتمد على أ ي تصور نظري للمجتمع ولا تشكل رؤية محددة اتجاه العالم الاجتماعي عن طريق وعي الأفراد والجماعات به وما أكده "جارفنكل" حيث اعتبر أن البحوث الاثنوميتودولوجية غير موجهة نحو تعميمات معينة، كما أنها لا تقدم حلولا لمشكلات اجتماعية ولا تشغل نفسها غير موجهة نحو تعميمات معينة.

٤-القضايا الأساسية للنظرية الاثنوميتودلوجية: ومنها ما يلي

٤-١-موضوعاتها:

- دراسة الواقع اليومي حيث يذكر "فليمر" أن الاتجاه الاثنوميتودولوجي يسعى إلى دراسة النشاطات المألوفة تلك التي يقوم بها الأفراد في حياتهم وكذا التعرف على المواقف التي يتعرضون إليها في حياتهم اليومية، والتي تكون لها دلالتها السوسولوجية وذلك بهدف الكشف عن تلك الطرائق التي يسلك بها الأعضاء في هذه السياق نجد "جارفنكل" يستخدم مفهوم الدلائل وذلك لتوضح أن أفعال الأفراد وتصرفاتهم هي نتاج للمواقف الاجتماعية التي يصنعونها، أو هي بمثابة مؤثرات على تلك الظروف التي تنشأ فيها أحداث الحياة اليومية
- حيث نجد في هذا الصدد قد اهتم بالطبيعة النوعية لمثل هذه الأحداث والظروف التي تحدث فيها، فإن الأشخاص يقومون بمزاولة نشاطاتهم العادية ويؤدونها بطريقة مألوفة

وكأن القانون ضمني الذي يمثل الأوصاف التي ينقلها الناس إلى بعضهم البعض أيضا نجد "جارفنكل" استخدم مفهوم العضوية بدل عن الفاعلين الذي تنبع فكرته الأساسية من القضية الاثنوميتودولوجية حول السلوك الاجتماعي وذلك بافتراض الاعضاء جميعا أن عالمهم الاجتماعي إنما يكون ذا حقيقة واقعية وأن جميعا لديهم خبرة وفهم مشترك بالمجتمع الذين يعيشون فيه[٣]

٤-٢-الافتراضات الأساسية للنظرية: تقوم النظرية الاثنوميتودولوجية على مجموعة من الافتراضات التي طحها "جارفينكل" بصورة عامة

- تعتبر العملية التنظيمية أساس وجوهر الحقيقة الاجتماعية والتي تم توضيحها بواسطة علم الاجتماع في صورته التقليدية أو المعاصرة.
- كل بناء اجتماعي قادر على تنظيم نفسه من خلال المواقف الاجتماعية
- ترتبط جميع التنظيمات في مجتمع بالنظام الأخلاقي باعتباره الأساسي في تفسير الحقيقة الاجتماعية
- ضرورة توجيه الأفراد لسلوكهم وأفعالهم تحو متطلبات النظام حتى يمكن فهم حصيلة الأنشطة
- افتراض وجود نظام أخلاقي وهو البناء الاجتماعي الذي يقوم على مجموعة من القيم والمعايير، ويعتبر النظام الأخلاقي أساس التنظيم الاجتماعي
- ضرورة أن يقبل جميع الأعضاء والأفراد في المجتمع باعتبارهم المشاركين في الحياة اليومية والنظام الاجتماعي باعتباره مصدر الحقيقة[٤]

٤-٣-المناهج المستخدمة في دراسة الاثنوميتودولوجية

لقد قام أصحاب هذا الاتجاه بإجراء عدة دراسات إمبريقية للكشف عن مناهج مختلفة والتي يمكن أن يستعين بها الباحث الاثنوميتودولوجي لكي ينفذ إلى مواقف الحياة

---

[٣] ميشال فوكو: إرادة المعرفة، عرض محمد حافظ ذياب، فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد ٤، العدد ٣، أفريل ١٩٨٤، ص ٢٢٣ ص ٢٢٨

[٤] عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع (النظرية السوسولوجية المعاصرة)، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٤٣

اليومية ويتعرف على أفكار وقواعد السلوك المبحوث، وعليه تم تصنيف هذه الدراسات إلى ثلاثة نماذج[٥]:

- النموذج الأول: ويتمثل في تلك الدراسات التي تهدف إلى اكتساب المعرفة الاجتماعية والثقافية
- النموذج الثاني: ويتمثل في الدراسات التي تحاول التعرف على القواعد العامة التي تقوم الناس بصياغتها بهدف فهم أنماط السلوك وتفسير كيفية نشأة النظام.
- النموذج الثالث: ويتمثل في الدراسات التي تحاول التعرف على الطرق التي يتبعها الناس للحكم على الأنشطة وإقرارهم بأنها مقبولة ومفهومة
- بالإضافة إلى ذلك يمكن استخدام الملاحظة بالمشاركة كذلك يتضمن الاتجاه الاثنوميتودولوجي على مناهج أخرى كالمنهج الشبه تجريبي الذي يطلق عليه التجربة الاثنوميتودولوجية والتي صاغها "جارفينكل" في كتاباته الأولى.

٥-أهم الاسهامات التي قدمها رواد النظرية:

٥-١-هارولد جارفينكل والمنهج الاثنوميتودولوجي: رأى أنه لابد من توجيه المنهج الاثنوميتودولوجي في مجال عمليات جمع البيانات الاجتماعية وتبرز أهميته من خلال تضمنه لمجموعة كبيرة من المناهج التحليلية التربوية كدراسة العديد من الأنشطة والعمليات العقلية كتحليل الحوار والمحادثات وإجراء بعض التجارب التي يخضع فيها الأفراد لمواقف مرتبطة بالنظام الأخلاقي في ملاحظة أفعالهم وأفعال الناس، كما حدد خصائص النظرية والمتمثلة في قيامها بدراسة طرق وأساليب الأفراد الذين يقومون بتنفيذ أفعال وسلوكيات معينة وجعل هذه الأفعال والسلوكيات في موقف يمكن إعادة إنتاجه ودراسته وتحليله عن طريق الفرد أو الأفراد الآخرين[٦].

٥-٢-هارفي ساكس: أسس قواعد تحليل المحادثة أو ما يعرف الأحاديث والحوارات في وسائل الإعلام المختلفة، كما قام بدراسة محادثات ظاهرة الانتحار مستخدما مادة الانتحار المتعمقة

---

[5]Peter lassnan, phenommenological, prespectives in sociology, in pexed Approches to sociology, Routledge and Gegan Paul, London and Boston, 1974, P131

[٦]محمد عبد الكريم الحوراني: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع (التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفية والصراع)، دار مجدلاوي، ط١، عمان،٢٠٠٨، ص٨٠

في المحادثات التي يقوم بإملائها المنتحر ذاته، أو من يتصل للإبلاغ عن حالة الانتحار، هذه المادة تساعد في التعرف على طبيعة حدوث هذه الظاهرة ووصفها بصورة غير تقليدية تعتمد على الاحصاءات والمقابلات أو الملاحظة واستمارة البحث كما اعتمد عليها "دوركايم" ذاته أو غيره من العلماء التقليديين الاجتماعيين[٧]

٥-٣-ليرفينك كوفمان وتحليل المحادثة: ساهم في إثراء نظرية الحياة الاجتماعية اليومية، حيث درس المحادثة التي تتم بين فرد أو أكثر معتبرا المحادثة نسقا اجتماعيا صغيرا من حيث الحجم ويتضمن قواعد ونظما خاصة تقوم بتنظيم طريقة أو أسلوب التحدث وتحدد حدوده ومنع تناول مواضيع تسيئلموضوع المحادثة والتي تحدد آدابها كالآتي:

- تجنب تجريح المتحدثين أحدهما للآخر وإهانته أو التهجم عليه أو كشف نقص عنده.
- الامتناع عن طرح الادعاءات والمبالغات الذاتية أو التركيز على أخطاء الطرف الآخر، عرض الاختلافات بأسلوب كيس ومؤدب وطرح الانطباعات التي يشوبه الغموض أو الإبهام أو اللبس الذي حدث أو سيحدث بينهما[٨]، كما يميز "كوفمان" ثلاثة أنواع من المحادثات وهي:

١- **المحادثة الساخرة:** يكون الحديث محل سخرية أو استهزاء أو يضخم المتحدثان الأخطاء بأسلوب هزلي.

٢- **الحديث مع الذات:** وهي محاسبة الذات والتي يسميها النظام البنيوي أو التفكير بصراحة تامة حول موضوع محل انحراف من قبل الفرد يخرج من الحديث به أمام الآخرين أو يخجل من طرحه علانية فيفكر به ويحاوره من عدة جوانب ويغوص فيه بكل حرية ثم يتخيل حضور الآخرين أمام الموضوع إحراج وهو يتصور ردود فعلهم تجاهه لأنه يشعر بأنه يحتاج إلى شاهد على تقويم انحرافه أو أخطائه ليعزز بواسطته ذاته التي تحاسبه على ذلك

٣- **المحادثة الرسمية:** الحديث بين المتحاورين يكون حسب الدرجة أو التسلسل الواقع بحسب ترتيب السلم التنظيمي أو السياسي.

---

[٧] محمد عبد الكريم الحوراني، المرجع نفسه، ص ٨٠

[٨] محمد أحمد سومي وآخرون: نظرية علم الاجتماع، الاتجاهات الحديثة المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ٢٠٠٢، ص٣٧٢

إذن النظرية الاثنوميتودولوجية حسب طرحه تسلم بأن الإنسان يمكنه تغيير ذاته، كما أنه يساهم في تشكيل العالم الخارجي أكثر مما يساهم هذا العالم في تشكيله وهذا ما يوضح أنها تنتقد أساليب ومناهج البحث المستخدمة في الاتجاهات النظرية الأخرى وخاصة الوضعي في علم الاجتماع.

٥-٤-آيرون سيكوريل والمنهج الاثنوميتودولوجي:

يعتبر "آيرون سيكوريل" A.Cicourelأحد رواد النظرية الاثنوميتودولوجية بعد مؤسسها الأول "هارولد جارفينكل"، وتتمثل أهمية تحليلاته في محاولة تحديث أهداف النظرية سواء على البعد التنظيري أو البعد البحثي المنهجي، فعلى المستوى النظري جاءت تصورات "سيكوريل" لوضع نظرية سوسيولوجية أخرى عن الأشخاص والأفعال.

ومن منظور سوسيولوجي يرى "سيكوريل" من الضروري أن نسعى لوضع نظرية سوسيولوجية تسهم في عملية تفسير كيفية تشكيل الواقع الاجتماعي، أما على المستوى الإمبريقي فلقد سعى "سيكوريل" في إطار معالجته للاثنوميتوولوجية أن يربط بين آرائه النظرية ورؤيته التحليلية والبحثية التي تصور فيها الفينومينولوجية كمنهجا[٩].

٥-٥-موهان ودراسة الواقع الاجتماعي

تعتبر إسهامات "موهان" "Muhan" من أهم الإسهامات التي ظهرت خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين، ومحاولته لوضع برنامجا نظريا للاثنوميتودولوجيا خاصة دراسة الواقع الاجتماعي من خلال محاولته لوضع مدخل نظري لدراسته واعتباره كحقيقة اجتماعية طبقا لتصورات "إميل دوركايم" حول الظاهرة الاجتماعية وقواعد البحث الاجتماعي، ولكن في ضوء المداخل والأطر الاثنوميتودولوجية في دراسة الواقع الاجتماعي فقد رأى "موهان" أن الحقائق الاجتماعية لا يمكن الشعور بها أو ملاحظتها بل تعتبر شيء غير موجود بدون ممارسات ووعي الفاعلين الذي يفهمون العالم أو الواقع الخارجي على أنه شيء مستقل عن أنشطتهم وأفعالهم، لذا فإن عملية البحث عن وجود العالم الموضوعي يعتبر من الاهتمامات الرئيسية التي يجب أن تفسرها النظرية الاثنوميتودولوجية، وقد اقترح "موهان" لدراسة عدد

[٩] برتراند راسل: حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٩، ص ١٠١

من التصورات المنهجية التي تسهم في دراسة الواقع مثل: التقدير، الفهرسة، المنهج الوثائقي، إضافة إلى مجموعة من التصورات والمفاهيم والطرق المنهجية البحثية[١٠].

٦-تقييم النظرية الاثنوميتودولوجية:

لا شك أن النظرية أحدثت تطورا كبيرا في مجال النظرية السوسيولوجية المعاصرة من ناحية، والدراسات الإمبريقية والبحثية الواقعية من ناحية أخرى، خاصة وأن معظم تحليلات رواد النظرية يسيطر عليه الطابع الإمبريقي، محاولة منهم لجعل علم الاجتماع التقليدي علما سوسيولوجيا تطبيقيا.

ونجد كذلك أن الاثنوميتودولوجيا أخذت موقف مغاير عن موقف الفينومينولوجيا التي ركزت على دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة نظرية أكثر من التحليلات الواقعية بينما الاثنوميتودولوجيا ركزت بصورة أساسية على الدراسات الإمبريقية الواقعية والاعتماد على النتائج التي توصلت إليها في حقل النظرية السوسيولوجية عامة.

رغم ما أسهمت به هذه النظرية من تطوير لعلم الاجتماع سواء على المستوى النظري أو الميداني، إلا أنها تعرضت لنقد شديد من قبل علماء الاجتماع ويمكن أن نوجز هذه الانتقادات في[١١]:

١- ركزت الاثنوميتودولوجيا على دراسة قضايا ومشكلات صغيرة، واعتمدتفي ذلك على مستويات التحليل السوسيولوجي الصغرى وهذا ما كشف عن الكثير من المشكلات المنهجية والنظرية والتطبيقية في أن واحد.
٢- انتقدت الاثنوميتودولوجيا علم الاجتماع التقليدي من حيث المفاهيم أو أساليب البحث أدوات جمع البيانات أو المداخل الكمية فقط دون استخدامه للمداخل الكيفية، ورغم هذا لم تستطع النظرية وضع مقاييس بحثية متطورة خاصة بها، وبهذا جاءت معظم تصوراتها وأساليبها التحليلية غير دقيقة وواضحة.

---

[١٠] عادل الهواري: الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٩، ص ٦٥

[١١] عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع (النظرية السوسيولوجية المعاصرة)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١، ص ٢٤٩

٣- رغم انتقاد النظرية الاثنوميتودولوجية لأساليب البحث السوسيولوجي إلا أنها أخفقت في طرح أساليب خاصة بها

٤- جاءت معظم تحليلات "جارفينكل" غامضة لاعتمادها على منهج اثنوميتودولوجي خاص بها، وهذا في طرحه واستخدامه لأساليب الفهرسة وغيرها من الأساليب والمفاهيم التي تميزت بالغموض.

حرصت النظرية الاثنوميتودولوجيا على فتح أبواب ومجالات البحث والتحليل بصورة نظرية ومنهجية واقعية، إلا أنها أغلقت الكثير من المجالات البحثية والأفكار النظرية الهامة، وهذا ما يثب الخطأ النظري والمنهجي الذي اعتمدت عليه الاثنوميتودولوجيا في تحليلاتها ودراستها للواقع الاجتماعي.